اللغة والاتصال

- تمهيد:

لا شك أن هناك آثارًا للاختلافات في استخدام اللغة بين الفئات المختلفة، إذ لكل مجتمع قوانينه وشروطه الخاصة للبقاء والتفكير، ولكل أمة ملامحها الثقافية وعاداتها التي تختلف عن الأمم الأخرى، وكذا اختلاف الأنظمة الاجتماعية والفروق الطبقية وتغير الأحوال؛ فعلى سبيل المثال، اللهجة التي كانت تستخدمها الطبقة الأرستقراطية مختلفة عن اللهجة التي تستخدمها الطبقات الوسطى والدنيا من المجتمع، فهي وسيلة للفهم والتواصل والتعبير عما تشتمل عليه النّفس البشرية، وما يحمله النّاس من عواطف ومشاعر نحو الأشياء والآخرين.

1- مفهوم اللغة:

اللغة مظهر من المظاهر الحضارية لدى الإنسان، ونشاط اجتماعي، ووسيلة من وسائل الاتصال بين النّاس وأس من أسس التفاهم بينهم، أو كما عرفها ابن جني "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]. وتمثّل استجابة ضرورية لحاجة الإنسان للاتصال ببني جلدته.

ويعتبر البعض أنّ هذا المفهوم تقليدي من حيث إنّه يفسّر التواصل الذي يحدث بين البشر، ولكنه لا يتناول حقيقة هذا التّواصل، بحجة أنّ اللغة هي وسيلة للتعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات من خلال الأصوات المنطوقة[2]، وهي "ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية مكتسبة لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد تتألّف من مجموعة رموز صوتية لغوية، تكتسب عن طريق الاختبار للمعاني المقررة في الذهن وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل[3].

وقد ارتبطت اللسانيات ارتباطًا وثيقًا بالعلوم الاجتماعية، حتّى تمّ إنشاء فرع يسمى "اللسانيات الاجتماعية"، وكان الغرض الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية للناس، وأثر الحياة الاجتماعية على مختلف الظواهر اللغوية.

---

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص: دار الكتب الخديوية، مصر. د.ط، 1332هـ. ج1، ص31.

[2] ينظر: محمد أحمد أبو الفرج ، مقدمة لدراسة فقه اللغة: دار النهضة العربية، بيروت، م1966.

[3] ينظر: نايف سليمان، مستويات اللغة العربية: مجلد01، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000.

ويعدّ ما توصّل إليه **مالينوفسكي** من أنّ اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التواصل، هو امتدادا وتكملة لما توصل إليه ابن جني بقوله إن اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وما أقرّه دي سوسير من أنها نظام من العلامات، وما أثبته **سابير** من أنّ اللغة وسيلة إنسانية خالصة، فهي بذلك تحمل عدة معان، ما يدل على مدى الاهتمام الواسع الذي أولاه الإنسان لدراسة اللغة[4].

2- وظائف اللغـة:

تظهر أهمية اللغة في الوظائف التي تؤديها، وقد نال -هذا الجانب- عناية العلماء الذين حاولوا تحديد هذه الوظائف وضبطها وفق توجهاتهم وانتماءاتهم: فمنهم من نظر إليها من زاوية فلسفية نفسية، ومنهم من نظر إليها من زاويـــة اجتماعية، ومنهم من جمع في نظرتـه إليها بين الجانبين معا.

تتجلى أهمية اللغة من خلال الوظائف المختلفة التي تقوم بها. استحوذ هذا الجانب الخاص على اهتمام الأكاديميين الذين سعوا إلى تمييز هذه الوظائف بناءً على وجهات نظرهم والتزاماتهم، فمنهم من تناولها من جانب فلسفيي ونفسي، بينما تناوله آخرون من وجهة نظر اجتماعية، وقام البعض بتناولها من كلا الجانبين.

ويستخلص من قول ابن جني المشهور الذي جمع فيه بين تعريف اللغة وبين وظائفها، معظم وظائف اللغة التي تشعّبت عند المحدثين، فهو يقول: إن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.. وهي فعلة من لغوت إذا تكلمت[5]، فنوّه بالوظيفة التّواصلية الأساسية للغة من خلال لفظ "يعبّر"، ولمح إلى الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة من خلال لفظ "أغراضهم" الدال على الحاجة التي تشمل الحاجة المادية، والحاجة النفسية والفكرية والشعورية والاجتماعية...

---

[4] محمد أحمد، مقدمة لدراسة فقه اللغة: 1966.

[5] ينظر: ابن جني، الخصائص: ج1، ص31.

وقد وقع الاتفاق على أن اللغة " تؤدي وظائف مختلفة تتعدّد بتعدّد استعمالاتها وموقعها"[6]، وقد اهتدى جاكبسون إلى توزيعها "على مكونات التّواصل اللغوي المرسل والمتقبل والإبلاغ والشّفرة وقناة الاتصال والظرف"[7]، وذلك مؤشر للتمييز بين وظيفة وأخرى.

ويمكن إجمال الحديث عنها في النّقاط التالية:

– وظيفة التّعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات: تُتخذ اللغة أداة لنقل الأفكار والأحاسيس وكل ما يختلج بصدر الإنسان، لأنه عندما "ينطق ببعض الكلمات إنما يفعل ذلك لكي يعبر؛ أي ينقل العواطف والأحاسيس والأفكار من الداخل إلى الخارج"[8]، فهي "تُتيح لكل إنسان تبليغ تجربته الشّخصية إلى نظائره، ويشمل مفهوم التجربة كلّ ما يشعر به الإنسان أو يلاحظه، سواء أخذت هذه التجربة صيغة يقين أم شك أو رغبة أو حاجة، ويمكن للتبليغ أن يتمّ في قالب إثبات أو استفهام أو طلب أو أمر دون أن يخرج من إطاره الخاص"[9]، ويمكن أن تكون شفهية ومكتوبة كما فـي الأدب والشعر[10].

– وظيفة تصريف وتنظيم شؤون المجتمع: اللغة أداة تساعد على تسيير شؤون المجتمع وتصريف أموره وتوجيه أفراده لما يتعيّن أن يكون عليه من سلوكات، فالكلمة " في الاختلاط الاجتماعي لا تستعمل في أكثر الأحايين لتنقل الأفكار أو لتوضيح أشياء من هذا القبيل أو حتى للتعبير عن الشعور، ولكنها تستعمل لتشبيع الاشتياق إلى النزعة الاجتماعية والمصاحبة التي يهواها الإنسان"[11].

ويتجلى دور اللغة في الناحية الاجتماعية أيضا في تقويم سلوك الفرد بما يتماشى وتوجهات المجتمع باعتبارها حاملة للقيّم والمثل التي توارثها جيل عن جيل، كما أنها تقوم سلوكه اللفظي من

---

[6] نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات: مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1993. ص150.

[7] المرجع نفسه: ص150.

[8] حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. 1980م. ص73.

[9] سليم بابا عمر، اللسانيات العامة الميسرة: 1–علم التراكيب، أنوا الجزائر، 1990. ص69.

[10] محمد كامل الناقة وفتحي يونس، أساسيات تعليم اللغة العربية: ص11.

[11] نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات: ص151.

حيث النّطق السّليم للحروف والاستعمال الصحيح للمفردات واعتماد الأساليب الملائمة، فهي "تبلور الخبرات وتجارب الأمم في كلام مفهوم، يمكن أن يستفيد منه الغير وتدون التراث الثقافي وتحتفظ به جيل بعد جيل"[12].

– الوظيفة النفسية: اللغة وسيلة من وسائل الراحة والترفيه عن النفس والتحرر من الضغوط والانقباض النفسي، فالمرء حين يتحدث بحديث لا هدف من ورائه أو يغني ، فهو إنما يفعل ذلك ليرفه عن نفسه ويمتع الآخرين، إذ "لا يعيش الإنسان بالخبز وحده، فاللغة لها وظائف أخرى علاوة على كونها أداة اتصال، وهي لا تستخدم فقط في الكلام بل في الغناء أيضا، والحديث لا هدف له في الغالب إلا مجرد اللعب بالأصوات ليمتع الفرد نفسه ويمتع الآخرين، فليست الحياة اليومية جدا كله، بل هناك فرص ينبغي أن لا نفكر فيها، وذلك حينما نترك العمل جانبا، وفي مثل هذه الظروف لا تؤدي اللغة وظيفة حل المشكلات، بل لها في هذه الأوقات وظائفها، فهي وسيلة من وسائل الراحة وتقليل الاضطراب وكسر حواجز الغربة بين الفرد ومن يشاركه الحديث، وإقامة علاقات تنأى عن العلاقات التقليدية"[13].

– الوظيفة الاستفهامية: إذا كان الإنسان ابن بيئته، يستخدم اللغة وسيلة لفهم محيطه وكشف

أسراره. وهذا "ما يمكن أن نطلق عليه الوظيفة الاستفهامية بمعنى أنه "الفرد" يسأل عن الجوانب التي لم يعرفها في بيئته حتى يستكمل النقص في معلوماته عن هذه البيئة ويكوّن

صورة عنها"[14]، فلا يمكنه أن يعيش في هذا المحيط من دون أن يتفاعل مع الآخرين.

وهناك وظائف أخرى للغة استلهمها جاكبسون من نظرية الاتصال، وهي: وظيفة إقامة الاتصال والوظيفة ما وراء لسانية والوظيفة المرجعية...[15].

3– اللغة أداة للتواصل:

إنّ سمة التّعدد في توظيف اللغة لا يحيد عن اعتبار أبرز بعد وظيفي انتبه إليه الفكر الإنساني في تأمّله للغة كأداة هو التّواصل؛ فتأدية وظيفة التواصل ضرورة ماسة داخل الاجتماع

---

[12] حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي: ص68.

[13] محمد كامل الناقة وفتحي يونس، أساسيات تعليم اللغة: ص12.

[14] المرجع السابق، ص153

[15] ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص148

والعمران البشري، ولا يمكن للمجتمع الإنساني أن يكون وينتظم بلا لغة، ومن دون هذا التوصيل لا يتحقّق الاجتماع[16].

مما عليه الإجماع أن وظيفة اللغة الأساسية هي التعبير أي التواصل، بمعنى أنها وسيلة لتبادل الأفكار ونقل الأخبار بين الأفراد، ولعل في حديثا عن الاتصال والتواصل ما يوضح أكثر هذه الوظيفة.

وقد تمّ الاتفاق على أنّ الدور الأساسي للغة هو تسهيل التعبير، والتواصل، والعمل كوسيلة لتبادل الأفكار ونشر المعلومات بين الأفراد.

ويمكن أن تتّضح هذه الوظيفة بشكل أكبر من خلال الحديث عن الفروق بين الاتّصال والتواصل.

أ . الاتصال:

الاتصال في الوضع من [و، ص، ل]، وله معاني كثيرة، منها:

– بلغ وانتهى؛ فيقال: [و.ص.ل] (وصلت) الشّيء من باب وَعَدَ و"صلة" أيضا، و"وصل" إليه يصل وصولا؛ أي بلغ"[17].

– اتّصل: بمعنى "دعا دعوى الجاهلية، وهو أن يقول: "يا لفلان"، قال تعالى: "إلا الذين يصلون إلى قوم"[النساء/ 90] أي يصلون"[18]، ومنه "وصل الشيء بغيره فاتّصل، ووصل الحبال وغيرها توصيلا: وصل بعضها ببعض ... ووصلت شعرها بشعر غيرها، "ولعن الله الواصلة والمستوصلة"[19].

– انتمى: حيث يقال "... وصل إلى بني فلان واتّصل: انتمى، قال الأعشى:

---

[16] ينظر: الطيب بوعزة، اللغة والتواصل: مؤمنون بلا حدود للدراسات والبحاث، نوفمبر 2013. الرابط" https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-680

[17] الرازي، مختار الصحاح: دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 . 1967 . ص6.

[18] الرازي، مختار الصحاح: ص725.

. ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة العربية والاتصال: ص15.

[19] الزمخشري، أساس البلاغة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000 . ص678.

إذا اتّصلت قال: أبكر بن وائل *** وبكر سبتها والأنوف رواغم"[20]

ب . التواصل:

التواصل من الفعل "تواصل" على وزن تفاعل الذي يدل على:

- المشاركة بين اثنين فأكثر، مثل: تقاتل زيد وعمرو، تجادل زيد وعمرو وعلي.
- التظاهر: ومعناه الادعاء بالاتصاف بالفعل مع انتفائه عنه، مثل: تناوم، تكاسل، تجاهل...
- الدلالة على التدرج أي حدوث الفعل شيئا فشيئا، مثل: تزايد المطر، تواردت الأخبار.

المطاوعة: وهو يطاوع وزن "فاعل"، مثل: باعدته فتباعد ، واليته فتوالى[21].

4- بين الاتصال والتواصل:

يتمّ التعبير في الاستعمالات المعرفية والعلمية باللغة العربية بمصطلحي الاتصال والتواصل باعتبارهما ترجمة مرادفة للمصطلح الفرنسي(communication)، وهما وإن تقاطعا في الجذر والدلالة لا يفيدان الترادف، وذلك لاختلافهما في البنية الصرفية.

فالتواصل مصدر، ومنه الفعل المزيد "تواصل" على وزن "تفاعل"، وهذه الصيغة الصرفية تدل على اشتراك طرفين أو أكثر في إنجاز الفعل في وقت واحد[22]. الأول هو المرسل والثاني هو المستقبل، وحسب الشروط المقامية قد يصبح المستقبل مرسلا والمرسل مستقبلا وبذلك يحضر التخاطب والتفاعل بينهما.

أما الاتصال فهو مصدر للفعل المزيد "اتصل" الوارد صرفيا على صيغة "افتعل"، وهو لا يفيد الاشتراك لأن الفاعل المنجز للحدث طرف واحد فقط. وبذلك فالتواصل لا يعني الاتصال؛ لأنه ذو طبيعة خاصة، ويأتي في مرحلة ثانية بعد أن يتمّ الاتصال الذي هو أعمّ وأشمل، أي أنّ التواصل جزء من الاتصال ولا يتحقق بدونه. وكثيرة هي المواقف والوضعيات التي يتحقق فيها الاتصال دون أن يتحقق التواصل بفعل التشويش أو المعيقات التواصلية التي تتأثر بها عناصر العملية التواصلية.

---

[20] المصدر نفسه: ص679.

[21] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974. ص38.

[22] ينظر: عبد الراجحي، التطبيق الصرفي: ص36.

ويستخدم التواصل على المستوى الاصطلاحي بمعان متنوعة تتدرج من التفاعل بين الأفراد إلى استخدام شبكات الاتصال التكنولوجية، ويحدث عندما يتبادل الأفراد المعلومات، أي عندما يدرك بعضهم بعضا، وعندما يتبادلون الرسائل فيما بينهم، ولا يقتصر ذلك على الجانب اللفظي فحسب، بل يتضمّن الإيحاءات والإشارات والمظهر وأوضاع البدن...

ويرتبط التّواصل في بعده الإنساني بالتخاطب والتحاور بين شخصين فأكثر، بمعنى

أن التواصل يقتصر على الممارسة الفعلية الاجتماعية للغة التي تتمثّل في الإبلاغ والإخبار والاطلاع من خلال المشاركة في ما يجري بين الأفراد من أحاديث، فهو "يخصّ التخاطب البشري، ويختصّ بدراسة العلاقات بين الأشخاص الذين يفسّرونها ويتأثرون بها"[23]، وهذا يعني أن التواصل يقوم على "نشاطين رئيسين هما: الكلام والاستماع، هذان النشاطان لهما أهمية بالغة لدى عالم النفس باعتبارهما نشاطين عاليين للجهاز العصبي يحملان في ثناياهما عمليات تعكس طبيعة العقل البشري وقدرته"[24]، والملاحظ أن هذين الشرطين لا يتوفران إلا في اللغة المنطوقة أي في الكلام، وهذا لا ينطبق على اللغة المكتوبة التي تعد من ضمن طرق الاتصال، ويمكن الاستعاضة عنهما فيها بالقراءة والرؤية.

فمفهوم التواصل ينحصر أساسا في الممارسة الفعلية للغة، شفوية كانت أم خطية، في حين يقتصر الاتصال على الوسائل والأدوات والطرق التي تساعد على تحقيق وتجسيد هذه الممارسة في الواقع الملموس، وهذا بحسب موقف وموقع كل من طرفي العملية التواصلية.

وقد يراد بالاتصال التواصل عند البعد، والعكس صحيح، وهذا بفضل ما أفرزته التقنية الحديثة في مجال الاتصال حيث أصبح التواصل يعني انتقال المعلومات ومعالجتها وتقليبها.. في كلّ الأنظمة العلامية"[25]، حتّى صارت المعاجم لا تميّز الاتصال عن التواصل في كثير من التعاريف، وخير مثال على ذلك ما جاء في معجم التربية أن الاتصال هو "نقل خبر ما من شخص إلى آخر، وإخباره به، واطلاعه عليه، ويعني التواصل وحدتي التواصل والتوصيل؛ أي

---

[23] نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات: ص157.

[24] المرجع نفسه، ص157.

[25] المرجع نفسه ص157.

إقامة علاقة مع شخص ما أو شيء ما، كما يشير إلى فعل التوصيل، كما أنه يعني التبليغ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما وإلى نتيجة ذلك الفعل،

كما يدل على الشيئ أي يتم تبليغه والسائل التي يتم التواصل بفضلها"[26].

- **خلاصة:**

إنّ العلاقة بين اللغة والمجتمع شديدة المتانة، كون اللغة هي العنصر الأساسي التي تعمل إمّا على الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه من خلال أداء دورها كأداة رابطة بين جيل وجيل، والكاشف عن عادات المجتمع ومستوياته الثقافية، إما تؤدي إلى انهياره جراء وجود إشكالية في التواصل اللغوي داخل المجتمع باعتباره الركيزة الأساسية في عملية التواصل والتفاعل.

- **المراجع:**

- الرازي، مختار الصحاح: دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 . 1967.
- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. 1980م.
- سليم بابا عمر، اللسانيات العامة الميسرة: 1–علم التراكيب، أنوا الجزائر، 1990.
- ماريو باي، أسس علم اللغة: ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998م.
- محمد أحمد أبو الفرج، مقدمة لدراسة فقه اللغة: دار النهضة العربية. بيروت. ط1، 1966م.
- محمد عيد، أصول النحو العربي: عالم الكتب، القاهرة. د.ط، 1973م.
- محمد عيد، في اللغة ودراستها: عالم الكتب، القاهرة، 1974. ص05.
- محمد كامل الناقة وفتحي علي يونس، أساسيات تعليم اللغة العربية: دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة. 1977م.

[26] عبد اللطيف الفاربي، عبد العزيز الغرصان، محمد آيت موحي وعبد الكريم غريب، معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك: 01 . سلسلة علوم التربية : 9–10 ب.ط، ب.ت . ص81.

وينظر:

Le Micro–Robert: Dictionnaire Du Français Primordial, French & European Pubns, 1971. P20

- نايف سليمان، مستويات اللغة العربية: مجلد01، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000.
- نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات: مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1993.
- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية: مطبعة أبناء وهبه حسان. القاهرة، 1973م.
- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص: دار الكتب الخديوية، مصر. د.ط، 1332هـ. ج1.
- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 2005م.
- الطيب بوعزة، اللغة والتواصل: مؤمنون بلا حدود للدراسات والبحاث، نوفمبر 2013. الرابط" https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-680
- الزمخشري، أساس البلاغة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
- عبد الجليل مرتاض، اللغة العربية والاتصال: دار هومة. الجزائر. د.ط، 2000م.
- عبد اللطيف الفاربي، وآخرون، معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك: 01 . سلسلة علوم التربية : 9-10 ب.ط، ب.ت.
- عبده الراجحي، التطبيق الصرفي: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974.
- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة. 2001م.

- Ferdinand de Saussure; Cours de linguistique générale; payot, paris. 1971.

- Le Micro-Robert: Dictionnaire Du Français Primordial, French & European Pubns, 1971.